كثير من الاحيان كل صلة واقعية ومنطقية مع الواقع ، فكانت محض هلوسة وهذيان . فهو يدعو مثلا الى حرب شعبية على امتداد الوطن العربي ضد الامبريالية ، وكأن الامبريالية انزلت جيوشها واصبحت تحكم او تسود مباشرة هذا الوطن . وهو بشكل خاص حمل حملة شعواء على مصر لانها لم تقم بهذه الحرب الشعبية . ماذا كان يريد هذا الفكر من ثورة مصر وقائدها الراحل الكبير ؟ فهو يتكلم وكأن جيوش « اسرائيل » تساندها الجيوش الاميركية قد نزلت في القاهرة او الريف المصري فامتنعت الثورة وقائدها عن متابعة الكفاح الشعبي المسلح ضدها .

الواقع ان حربا شعبية ضد اسرائيل في الاقطار العربية المجاورة لها او البعيدة عنها تفترض تعاون « اسرائيل » وقبولها بها ، اي انها قبل ان تصبح ممكنة يجب على اسرائيل ان تحتل الاردن ولبنان وسوريا ومصر — السكان وليس مصر — الصحراء فقط . ولكن اسرائيل أذكى مما تتصور هذه التأتأة الفكرية الداعية شعوب هذه الاقطار الى حرب شعبية ضدها على غرار ما تصنعه فيتنام . ان « اسرائيل » تعلم ان احتلال الاردن ولبنان وسوريا ومصر — السكان ، او اجزاء كبيرة منها ، يعني امكانات بشرية لا تملكها ، كما يعني فرصة لحرب شعبية من هذا النوع ليس من مصلحتها حاليا على الاقل ان تعمل شيئا على توفيرها . هذا من ناحية . اما من ناحية اخرى ، فاننا نعلم ان الحروب الشعبية تعتمد قبل كل شيء على جماعات وطبقات تريد اقامة نظام اجتماعي سياسي جديد ، وهي تعمل لهذا النظام الجديد لانها تعاني يوميا وبشكل مباشر من قسوة واستغلال وامتهان غزو أجنبي يعتمد النظام القائم والطبقات التي تمثله . ان الجماهير في سوريا والعراق ، وحتى في لبنان والاردن — ما عدا الجماهير الفلسطينية في المخيمات وذلك فقط الى درجة محدودة — لا تعاني هذه التناقضات الطبقية والاجتماعية او هذا الاستعباد اليومي المهين على يد غزو اجنبي . لهذا لا يمكن دفعها الى حرب شعبية ضد الانظمة القائمة ، كما ان بعد الاحتلال الصهيوني عنها يجعل حربا شعبية ضده ، وبالمعنى الذي تمثله التجارب الحية لها ، لغوا لفظيا . الجماهير العربية خارج الاردن وفلسطين ، وهذا واقع يجب ان لا نتجاهله ، لا تزال بعيدة عن المعركة اي بعيدة عن التأثر تأثرا جذريا مباشرا بها . فهي لا تزال تعيش في اطار ولاءاتها التقليدية المحلية التي درجت عليها . التناقض العربي — الاسرائيلي الاساسي الذي يجب ان يكون منطلق الموقف العربي الثوري ، كل موقف ثوري ، لم يصبح بعد جزءا من حياتها اليومية او قاعدة لسلوكها السياسي . الحرب الشعبية بالنسبة الى هذه الاقطار تعني فقط اقامة نظم ثورية تعمل على اخضاع كل شيء لمعركة التحرير وتوجه كل شيء في هذا السبيل وتكون قادرة على اعتماد الجماهير وعلى الكشف عن جميع امكاناتها وامكانات الارض ودفعها كليا الى قلب المعركة .

الدعوة الى الحرب الشعبية ضد اسرائيل في الاقطار العربية المجاورة او البعيدة هي في الواقع محاولة في الهرب من واقع الحرب الشعبية في فلسطين وهو الواقع المستحيل الذي ارتبط به هذا الفكر. فقبل ان يدعو الى تلك الحرب كان يجب على هذا الفكر ان يبرهن على صحة منطلقه الاول والاساسي : اي على وجود هذه الحرب في فلسطين . وقبل ان يدعو الى تحويل لبنان وسوريا والاردن ومصر (مصر تقوم في الواقع بهذا الدور دون ارشاد وتوجيه هذا الفكر) الى هانوي عربية ، كان يجب على هذا الفكر ان يدرك ان هانوي من هذا النوع تحتاج الى فيتكونغ وهي فيتكونغ غير موجودة . فلو ان هذه الاخيرة موجودة ومتوفرة لنا لفرضت فرضا على الاردن ولبنان وسوريا ان تكون « هانوي » لها ، شاءت هذه الاقطار ام أبت .

في تكيفنا مع الواقع الموضوعي نجد امامنا طريقين يجب ان نختار بينهما : ان نغير مقاصدنا كي نجعلها متلائمة مع هذا الواقع ، او ان نغير الواقع نفسه بشكل يجعله متناسقا مع هذه المقاصد . بما انه يستحيل علينا كطلاب حق وحرية وتحرير ان نغير مقاصدنا ، وبما ان محاولة في هذا الاتجاه هي خيانة ، وبما ان الاوضاع الموضوعية التي تحيط بالمقاومة لا تنفتح لها كحرب تحرير شعبية تؤدي الى اسقاط « اسرائيل » ، ولا يبقى امامنا سوى تغيير دور المقاومة بشكل يجعله اكثر فاعلية في خدمة هذه المقاصد . اذن المشكلة هي كيف يمكن لنا ان نحتال على هذا الواقع فنطوعه لهذه المقاصد ؟ كيف يمكن توجيه امكانات الفداء والتضحية الكامنة في المقاومة ، فنجعلها اكثر فاعلية ؟ والمخرج ليس طبعا الرجوع الى الوراء ، النكوص عن هذه المقاصد ، بل تصحيح